قصة رومانسية ونهاية سعيدة..!

هذه هي الورقة العاشرة التي تتلقفها سلة القمامة، منذ أكثر من ساعتين، أحاول عبثًا أن أكتب قصة رومانسية بنهاية سعيدة..!

_ بؤس ونحيب، لا تعرف رواياتك سوى النهايات البائسة يا نادر، ارحمنا يا أخي.

_ أحب أن أكون واقعيًا، تعرف.

_ بل تلك قدراتك، اعترف. -قالها بشيء من الجدية-.

_ تستفزني، أليس كذلك. -قلتها بضحكة خرجت من قلبي-.

_ بل أتحداك، وليس أمامك إلا أن تقبل التحدي.

_ أي تحدٍ؟! -قلتُ مستنكرًا-.

_ أن تكتب قصة قصيرة، قصيرة يا صديقي، رومانسية ذات نهاية سعيدة، إن فعلت أعترف بقدراتك ككاتب.

ضحكت بسخرية، وأنا أقول:

_ رومانسية ونهاية سعيدة..؟!

_ لن تستطيع، أعرف أعرف.

يبدو أنه كما قال (إبراهيم)، لن أستطيع، يقول (جون جولسور ذي):

«إن الفن لا يكون فنًّا إلا إذا كان مصنوعًا مما أحسه الفنان ورآه، لا مما قيل له إنه يجب أن يحس به ويراه» كيف لي إذا -يا صديقي- أن أكتب عن شيء لم أَعِشْهُ؟ حتى من عاشوه ممن أعرفهم لم يسعدوا به، أحبّ أبي أمي، لكنها لم تشعر به قط، طلبت الطلاق ومضت تؤسس حياتها مع آخر، وظل هو يتقلب

على جمر ذكرياته معها، أختي (هدى) تحب زوجها كثيرًا، لكنها لا تزال تريق دموعها بين يدي كلما أتت لزيارتي.

أعرف لماذا تتحداني هذا التحدي يا صديقي، تريد أن يعيش صديقك تلك المعاني ولو في قصصه ورواياته، غير أنني قبلت التحدي، إذن لا بد من الانتصار، سأحاول أن أكتب ما لم أعشه، سأتخيل، نعم قدرتي على التخيل فائقة، حتمًا سأنجح.

كانت حياتهما جنة على الأرض، كان الحب ترياق الحياة لكليهما، كان...

ما هذا العبث؟! تم تمزيق الورقة الحادية عشرة بنجاح..!

تخلّت عني جميع المفردات، الكتابة لعبتي، أبدو الآن لعبة في يدها، ستنتهي أوراق مفكرتي هباءً، أعددت كوبًا من القهوة، يقول المتغزلون فيها أنها تعين على الإلهام وتنشط الخيال، هراء، ليتني أعددت كوب الشاي الذي أحبه..!

جمعهما القدر بعد فراق دام ثلاثين عامًا، قابلها بعد أن كادت شمس عمره على الغروب...

تبًّا، هذه الكلمات ستصل بي إلى وصف قبرهما..!

لم يتبقَّ في مرارتي كثيرًا، أحسست أنها ستنفجر، زاد الحر من إحساسي بالاختناق، تركت البيت، وعلى مقهى (مرمرة)، جلست كعادتي، بعد ساعة مضت، قضيتها في النظر إلى شاب وفتاة يجلسان قبالتي، يبدو من إقباله عليها أنهما يعيشان قصة حب، سأتقمص شخصية هذا الشاب، حتمًا سيحضر الإلهام، ويتم المطلوب.

بعد أن انتهيت من كتابتها انفجرت ضاحكًا، بدت لي وكأنها تنتمي لكاتب لآخر، لكنها حتمًا ستنال إعجاب (إبراهيم)، سيرى أنني ربحت التحدي، كلها دقائق ويقرُّ بالهزيمة.

_ أرى في عينيك نظرة ريبة.

تنهد ثم قال:

_ أرجو أن أخسر هذا التحدي.

_ اترك هذه الأوراق، تناول قهوتك أولًا.

انفجرت ضاحكًا، بينما ضرب (إبراهيم) كفًّا بكفٍّ عندما انسكب فنجان القهوة فوق المفكرة؛ فغرقت القصة الرومانسية ذات النهاية السعيدة، قال بنبرة ساخرة:

_ يبدو أن أبطالك من فرط السعادة أرادوا أن يشربوا قهوتي..!